



بقلم: محمد أحمد الفيلابي

أحلام مُطمئنة

نقطة... فهمٌ جديد... طمأنينةٌ راسخةٌ ينثرها بُناةُ الغد... جيلٌ التحديات... واستدامةٌ الوعي والإدراك. الطلاب المشاركون بأفكار مشروعاتهم المستقبلية في المعرض المصاحب لمؤتمر الذكاء الاصطناعي الأخضر. أيُّ قطرةٍ... أيُّ محصول... أيةٌ محصلة؟ هي الصدفةُ لا شكَّ التي وضعتها على أولى عتبات الإدهاش. كانت القاعةُ الكبرى تعجُّ بالعلماء والخبراء يتداولون ما من شأنه تأكيد جعل الكوكب أكثر اخضراراً، وأماناً بيئياً. فالموضوع هو الذكاء الاصطناعي الأخضر. وهنا... في القاعة الأخرى تجد معنى الاستدامة كأنه انفلاقُ البذرة في أرض الخصب والنماء البكر.

صفان متوازيان من الأحلام (المطمئنة)... تنبجس من نفوس (مطمئنة)... تتناثر في ثقةٍ تُنبئ عن إدراكٍ باكر لمعنى المستقبل. صفان من أفكار مشروعات تكنولوجية لم يُملها أحدٌ على هؤلاء الطلاب والطالبات صغار السن... كبار العقل. بعضهم لم يدخل من باب المراهقة بعد، بيد أنهم يُرهبونك وأنت تحاول جاهداً الإلمام بما يدور في رؤوسهم الصغيرة، وما يتخلل ضحكاتهم البريئة، ونظراتهم الواثقة، وكلماتهم الأكثر وثوقاً واتساقاً مع رؤاهم لحماية الكوكب، واستدامة عطائه. يُرهبونك حين يدخلونك من باب المرافعة عن جيلٍ تشكل من عجينة الحماس الممزوجة بإبداع المعرفة، وقطرات الوعي، وشغف الكينونة!!

في العتبة الأولى تُواجه بسؤال:
كيف بقطرةٍ واحدة ينبت محصولٌ يكفي؟
قطرةٌ ترى فيها صاحبها ما سبق أن رآه سيدنا يوسف في (السنبلات السبع).
كيف بالنانس (بُغاتون) في عصر الذكاء الاصطناعي؟ فُتفاجأ بفكرة تسخير الذكاء الاصطناعي لحفظ مورد المياه في تكامل مع فكرة نشر الزراعة الذكية. فكرة متكاملةٌ قوامها حساسات قادرة على قياس رطوبة الأرض، والتنبؤ بالطقس، لتحسب كم يحتاج هذا المحصول من قطرات مياه دون هدر.

ما دامت البذرةُ تندد الغيبُ والرواء... والناس يسألون السماء غيباً وغوثاً... فلماذا الهدر حين يتوافر الماء؟ سؤالٌ فلسفيٌ أجابت عليه فلسفةٌ تعليم حديث، وإداراتٌ حكيمة قادرة على تهيئة البيئة العلمية لإنبات جيلٍ يمنحنا راحة الاطمئنان والتفاؤل بغدٍ تُستدام فيه الموارد، ويُتمى فيه المورد الأهم (البشر).

قبل أن تُجفِّق عرق اللهث وراء فكرة الربط بأهداف التنمية المستدامة، في مشروع ثانٍ، تجد نفسك تتعرض لفكرة (التبريد السلبي)، حيث يُحدثك في ثقة أصحاب إعادة التفكير في تبريد أنظمة الذكاء الاصطناعي باستخدام موارد مستدامة. الأمر الذي شغل حماة البيئة تجاه الاستخدام المفرط للطاقة والمياه في مراكز الذكاء الاصطناعي، بل كاد أن يُرجح كفة الأثر السالب في ميزان الحاجة والاختراع. وكان ذات الأمر يُناقش في القاعة الكبرى (تزامناً).

قبل أن تفيق من دهشتك لهذا التوارد في الخواطر، تصطدم بفكرة تحديث نُظم فرز النفايات، درءاً لما شاب المرفق من سوء إدارة التخلص من النفايات في كل مكان من الكوكب. حيث يقترح المشروع تمرير النفايات عبر حزام ناقل يتعرّض في مرحلة ما إلى قدرٍ من الأشعة تحت الحمراء بما يمكن من فرز أكثر من (500) مادة، بدءاً من أدق جزئيات البلاستيك وصولاً إلى كل أنواع المعادن. الأمر الذي يسجّل تفوقاً كبيراً على منهجيات الفرز اليدوي والآلي بدقة تصل إلى (99%).

من كان يصدق أنهم في هذا العمر يفكرون في الاقتصاد البيئي؟ يُحدّثونك عن الفرز والتجريد والبيع وإعادة تدوير النفايات، إحدى أكبر معضلات الحضارة، لكنهم يتحدثون عن ألعابهم. ليس هذا فحسب، بل يؤكدون أن استخدام الذكاء الاصطناعي في هذا المرفق لن يقلل من فرص التوظيف، ذلك لأنه لا بد من مشرفين بشريين على عمل الأجهزة، ولا بد من اصطحاب الخبرات في مجال الهندسة الكيميائية، خاصة من أجل المراقبة والتطوير.

يا للقطرات... يا للدهشة... ويا للفخر!!

كيف أمكن هؤلاء التفكير في جهاز شخصي محمول، وربما تطبيق يُضاف إلى تطبيقات الهواتف الذكية، يرصد ويحلل انبعاثات الكربون الشخصية، بل يقترح حلول التقليل من البصمة الكربونية لنشاط الإنسان خلال أسبوع، أو أي مدة يحددها (المبرمج).

ما وقفت عليه في (4) مشروعات من (22) مشروعاً معروضاً في تلك القاعة الصغيرة، بمشاركة عدد من طلاب وطالبات المدارس الثانوية والجامعات في المعرض المصاحب للمؤتمر، يؤكد لنا في مؤسسة زايد الدولية للبيئة، وأي مؤسسة أخرى، مثلما تؤكد لإدارات المؤسسات التعليمية المشاركة، وللباحثين والمطورين البيئيين في كل مكان، أن الأمر يبدر الاطمئنان في النفوس، ويفلق بذرة الوعي في مساحات أوسع.

إن كان هذا هو المخرج الأوحد للمؤتمر لكفى. ساعاتٌ قليلة بحساب الزمن المجرد، بيد أنها رحلةٌ طويلة نحو المستقبل. رحلةٌ عميقة الأثر، قوية المعاني. عددٌ محدود من المشاركين والمشاركات، بيد أن الصدى تردّد في دائرة أوسع، حيث تداولت عشرات المنصات الإعلامية الحدث، مساهمةً في نشر أوسع للنداء...

أن هلمّوا لحماية كوكبنا الأوحد من اندفاعنا غير المحسوب!